

رحل ضياء العوضى منذ أبريل.. ولم يرحل الجدل بشأنه

كيف تمكن من خداع مرضاه؛ تحسن يتبعه انتكاسة

مات الطبيب لكن وصفته مستمرة؛ "وباء المعلومات" السبب



يمكن لانتقادات السلطات، في بعض الأحيان، أن تعزز التأييد لدى جمهور لا يثق أصلاً بتلك المؤسسات

عاطفية ومباشرة عن التحسن، ما قد يجعلها شديدة الإقناع بالنسبة إلى الجمهور.

وترى موريس أنه عندما يشارك أشخاص حقيقيون تجاربهم الشخصية، "يصبح أمامك محتوى يمكن أن يكون مقنعاً بالفعل، حتى عندما يكون مضللاً. فالناس لا يتصرفون باستهتار، بل يستجيبون لمحتوى صُمم لتحديدًا لبيدو جذيرًا بالثقة".

ولا تقتصر قصة الطبيب على طبيب واحد مثيل للجدل أو فلسفة غذائية معينة، بل تعكس تحولاً أوسع في العصر الرقمي، حيث لم تعد السلطة والمصداقية تشكّلان من خلال المؤسسات وحدها، بل أيضاً عبر المجتمعات الإلكترونية والأنظمة التي تتحكم في توزيع المعلومات وانتشارها.

فتحت بعد مرور وقت طويل على رحيل مؤسس أي حركة، يمكن للاتباع الذين يحافظون على إرثها، إلى جانب المنصات التي تواصل إعادة تداول رسائلها، أن يضمنوا استمرارها وبقاء تأثيرها.

مجلة ويرد الاميركية

توفى الطبيب المصري ضياء العوضى في أبريل الماضي، لم يمت معه نظام "الطبيب"، حيث لا يزال أتباع العوضى يعيدون نشر مقاطع الفيديو الخاصة به، عبر منصات التواصل الاجتماعي، ويدافعون عن فلسفته الغذائية المثيرة للجدل، التي كانت تروج للطعام باعتباره بديلاً عن الطب التقليدي، ويعرفون بها جماهير جديدة. كان العوضى قد جمع بحلول وفاته، أكثر من مليوني متابع على فيسبوك و٢٤١ ألف مشترك على يوتيوب، وواصلت مجموعات فيسبوك المخصصة لـ "الطبيب"، التي بلغ مجموع أعضائها نحو نصف مليون شخص، نموها حتى بعد وفاة العوضى.

كما امتد تأثير الحركة إلى خارج مصر، فقد أصدرت وزارة الصحة السعودية تحذيراً عاماً من اتباع "الطبيب"، بعدما أفادت بتسجيل حالات احتاج فيها مرضى إلى العناية المركزة عقب توقيفهم عن استخدام الإنسولين وأدوية السكري. واللافت ليس فقط أن حركة العوضى استمرت بعد وفاته، بل إن بعض أتباعه يقولون إنهم لم يتعرفوا إلى أفكاره إلا بعد رحيله، إذ اكتشفوه من خلال مقاطع الفيديو التي ظلت تتداول عبر الإنترنت.

كان الحفاظ على استمرارية أي حركة يعتمد غالباً على التنظيم نفسه، وأتباعه، والمجتمعات القريبة منه، والأشخاص الذين تأثروا به بصورة مباشرة، في عصر ما قبل وسائل التواصل الاجتماعي، أما على الإنترنت، فيمكن إعادة نشر مقاطع فيديو شخص ما وأرشفتها والتوصية بها لمستخدمين جدد بلا نهاية، ما يسمح لأفكاره بالاستمرار في الوصول إلى الجمهور بعد وقت طويل من رحيله.

وتثير حالة العوضى سؤالاً أوسع: ماذا يحدث عندما تنتج المنصات الرقمية لحركة أو مجتمع أو شخصية عامة أن تعيش بعد مؤسسها؟

كان العوضى، وهو طبيب عناية مركزة وأستاذ في كلية الطب بجامعة عين شمس في القاهرة، يبلغ من العمر ٤٧ عاماً، وقد كوّن قاعدة جماهيرية كبيرة على الإنترنت قبل أن تسحب السلطات المصرية ترخيصه، مشيرة إلى نشره نصائح طبية تقتصر إلى الألة العلمية وتعرضه حياة المرضى للخطر.

لكن التحدي يتجاوز حركة "الطبيب"، فقد وضعت منظمة الصحة العالمية الانتشار السريع للمعلومات الصحية المضللة عبر الإنترنت بأنه جزء من ظاهرة أوسع أطلقت عليها اسم "وباء المعلومات" (Infodemic)، أي التدفق المفرط للمعلومات على نحو قد يجعل من الصعب على الناس تمييز الإرشادات الصحية الموثوقة.

ولم يكن العوضى بالنسبة إلى كثير من أتباعه، مجرد طبيب يقدم نصائح غذائية، فمن خلال سنوات من مقاطع الفيديو واليث المباشر، أصبح شخصية مألوفة تقدم لهم ليس فقط إرشادات صحية، وإنما أيضاً رؤية متكاملة تتحدى الطب

الصحية الشاملة. بدأ العوضى في بناء قاعدة جماهيرية تجاوزت مليون متابع عبر عدة منصات للتواصل الاجتماعي في عام ٢٠٢٣، من خلال إقناع الناس بأن الإنسولين "خدعة"، وأن التدخين ليس ضاراً، وأن العلاج الكيمائي غير ضروري، وأن الجسم قادر على شفاء نفسه إذا اتبع نظاماً غذائياً أفضل، وأطلق على منهجه اسم "الطبيب"، نسبة إلى الكلمة القرآنية التي تشير إلى الأشياء الطبية.

وكان العوضى يحظر تناول الدجاج والبيض ومنتجات الألبان والبقوليات، بينما يسمح بتناول المربي، ومعجون البندق، وحتى السجائر، واستند العوضى إلى تفسيراته الشخصية لبعض آيات القرآن الكريم باعتبارها أدلة طبية، وهو ما طعن فيه العديد من علماء الدين الإسلامي. واصل العوضى تسويق منهجه عبر مقاطع الفيديو على الإنترنت، والاستشارات الافتراضية، ومجموعات "فيسبوك" التي استقطبت متابعين من مختلف أنحاء العالم العربي، على الرغم من أنه لم يشغل أي منصب جامعي منذ فصله من جامعة عين شمس بالقاهرة عام ٢٠٢٢ بسبب ترويجه لآراء غير علمية، ولم يجر أي تجارب سريرية موثقة أو ينشر أبحاثاً خضعت لمراجعة علمية.

وألفت نقابة الأطباء المصرية ترخيصه نهائياً في فبراير ٢٠٢٢، قبل أسابيع من وفاته، بعد أن خلصت إلى أنه روج لنصائح علاجية لا تستند إلى أدلة علمية، بما في ذلك ادعاءات بتلفق بعلاج السكري، وأمراض الكلى والقلب، والسرطان، والاضطرابات الهرمونية، وقالت النقابة إن هذا المحتوى يشكل خطراً على الصحة العامة.

لكن حتى بعد إغلاق عياداته في مارس، ازداد الإقبال على محتواه، فقد توفيت شيما البدوي، وهي مريضة بالذئبة الحمراء، بعد أشهر من توقفها عن تناول أدويتها التزاماً بنصائحه، واتخذ المجلس القومي للطفولة والأمومة في مصر في الوقت نفسه إجراءات قانونية ضد أولياء أمور أوقفوا إعطاء أطفالهم المصابين بالسكري جرعات الإنسولين بناءً على توصياته.

ويقول الدكتور محمد ممدوح، استشاري الأمراض الباطنة والسكري والكلية، إن بعض التحسن الذي أبلغ عنه أتباع العوضى كان حقيقياً بالفعل، فاستبعد عدة مجموعات غذائية أدى إلى خفض السعرات الحرارية، وهو ما قد يخفف بعض الأعراض لدى كثير من المرضى، إلا أن السبب الحقيقي للمرض ظل من دون علاج، الأمر الذي أدى في النهاية إلى "كوارث"، بحسب تعبيره.

الفارديان البريطانية

الدموية. قالت فاطمة عادل: لم أربط الأمر بهذا النظام في البداية، ثم فات الأوان"، وأصبح أصعب قدمها الكبير الآن متورماً إلى عدة أضغاف حجمه الطبيعي، بينما أصبح الجلد داكناً ومشدوداً، وتضطر إلى الخضوع بشكل دوري لإزالة الأنسجة المصابة لمنع انتشار العدوى إلى العظم الذي بدأ يتآكل، ويعد هذا الإجراء بديلاً عن بتر القدم الذي أوصى به بعض الأطباء.

أدت وفاة العوضى في أحد فنادق دبي في أبريل الماضي إلى زيادة نفوذه بدلاً من إنهائه، ففي غضون ساعات، نشر أتباعه نظريات مؤامرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي زاعمين أنه جرى إسكات صوته، وشارك الآلاف في جنازته بالقاهرة، وأصدر المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام في مصر قراراً يمنع جميع المنصات من تداول محتواه، لكن حظير كلمات رجل متوفى جعلها أكثر انتشاراً وإقبالاً من أي وقت مضى.

تزايدت حالات الثقة في المعالجين البديلين عالمياً، وقد جعلت منظمة الصحة العالمية (WHO) مكافحة المعلومات الصحية المضللة والمخطوطة أولوية، مشيرة إلى أن الأخبار الكاذبة تزداد في معارضة اللقاحات، وتؤخر حصول المرضى على الرعاية الصحية، وتؤثر سلباً في أعداد كبيرة منهم.

كما خلص تقرير صادر عام ٢٠٢٤ من شركة الرعاية الصحية تيبرا (Tebra) إلى أن ٤٥٪ من النصائح الطبية المنشورة على تطبيق تيك توك كانت خاطئة أو مضللة، وأن ٧٪ من المحتوى المتعلق بالعلاجات البديلة يُرجح أن يكون خاطئاً أو مضللاً.

في مصر، وجدت هذه الظاهرة بيئة خصبة بشكل خاص، فيجول أولائل عام ٢٠٢٥، بلغ عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي النشطين في البلاد ٥٠.٧ مليون مستخدم، وهو أكبر جمهور في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ومع ارتفاع تكلفة الرعاية الصحية الرسمية وصعوبة الوصول إليها بالنسبة لكثيرين، يملأ الطب غير الرسمي هذه الفجوة.

وتقول تقديرات منظمة الصحة العالمية، إن المرضى أو أسرهم يتحملون أكثر من ٥٧٪ من إجمالي النفقات الصحية من أموالهم الخاصة، مقارنة بنحو ٣٩٪ في الدول ذات مستويات الدخل المماثلة.

ولم تتجاوز موازنة الصحة في مصر ١.١٪ من الناتج المحلي الإجمالي في السنة المالية ٢٠٢٥-٢٠٢٦، بحسب منظمة هيومن رايتس ووتش، وهو مستوى يقل كثيراً عن الحد الأدنى البالغ ٥٪ الذي توصي به منظمة الصحة العالمية للدول الساعية إلى تحقيق التغطية

الامر بالنسبة لفاطمة عادل، وهي كاتبة تبلغ من العمر خمسين عاماً وتعيش في حي الشيخ زايد الراقي بالقاهرة، أشبه بمعركة مع العلاجات التقليدية. لقد ضعفت ثقة فاطمة في الأطباء بعد سلسلة من حالات التشخيص الخاطئ والأخطاء الطبية التي تعرضت لها ثقة فاطمة، لكن عندما بدأت مقاطع فيديو ضياء العوضى بالانتشار استمعت عادل، مثل عشرات الآلاف من المصريين، إلى رسائله.

كان العوضى، طبيباً مصرياً يتحدث بلغة بسيطة، ويستشهد بالقرآن الكريم، ويخبر متابعيه بأن أجسادهم قادرة على شفاء نفسها إذا غيروا نظامهم الغذائي.

بدأت فاطمة في أوائل عام ٢٠٢٤ باتباع منهج العوضى، بعد سنوات من دون تحقيق أي تحسن في السيطرة على مرض السكري من النوع الثاني، فتوقفت عن تناول أدويتها وغيّرت نظامها الغذائي.

شعرت خلال الأشهر الأولى، بأن صحتها بدأت تتحسن، لكن بعد ذلك بدأ التدهور، وقالت: "شعرت بإرهاق لم أستطع تفسيره، لكنني لم أربطه بمنهج العوضى لأن الأشخاص من حولى كانوا يقولون إنني أبذو أكثر صحة، وصدقتهم". وبعد بضعة أشهر، بدأت تشعر بوخز وخدر في قدميها، ويجول الوقت الذي شُخصت فيه حالتها في مايو ٢٠٢٥، كانت قد أصيبت بالقدم السكرية، وهي مضاعفة كان يمكن الوقاية منها، نتجت عن عدم السيطرة على مستويات السكر في الدم وضعف الدورة

قد تؤثر العزلة الاجتماعية على الرفاه والاحتجاج.. ولكن ما سبب ازديادها؟



مرّر إصبعك عبر تطبيق تيك توك، وقد تصادف وسومًا (هاشتاج) مثل «أسعد ما أكون في المنزل» أو «ليلة دافئة ومريحة».

يظهر في كلا النوعين من المنشورات أشخاص يجلسون بمفردهم على الأريكة أو يستلقون في السرير، بينما تقول التعليقات الصوتية عبارات مثل: «أشعر بسعادة غامرة تجاه ما فعلته الليلة الماضية، وهو أنني لم أفعل شيئاً»، أو: «إلى أين سأتذهب بعد العمل؟ سأذهب إلى وسط مدينة الاستلقاء، جنة الاسترخاء الألفية، شارع موعد النوم».

لا يُعد من الخطأ البقاء في المنزل بمفردك، فأحياناً لا يحتاج المرء سوى إلى ليلة هادئة يستريح فيها. لكن الباحثين اكتشفوا مؤخراً أن حتى أولئك الذين يرغبون في قضاء وقتهم خارج المنزل برقعة الآخرين يجدون صعوبة في وضع الخطط ومغادرة المنزل، وهو ما قد يؤثر في عافيتهم ككل ونجاحهم.

إليك سبب شعورهم بأنهم عالقون، وما يوصي الخبراء بفعله إذا وجدت نفسك تعاني الأمر نفسه.

× عليك أن تخصص وقتاً للناس يقول نحو ٣١٪ ممن يتمنون قضاء وقت أطول مع أصدقائهم إنهم مشغولون جداً أو متعبون إلى حد يمنعهم من التواصل معهم. كما يقول ١٩٪ إن العمل يقف عائقاً أمام ذلك، جاء ذلك في استطلاع حديث أجراه مشروع الصداقة الأمريكي، الذي يدرس واقع الصداقة في الولايات المتحدة منذ عام ٢٠٢٢.

ويتفهم جيفري هول، رئيس قسم وأستاذ الاتصال في جامعة كولنساس، وأحد مؤسسي (مشروع الصداقة الأمريكي) هذه القيد، حيث يقول: «إذا كان هناك من لديهم وظيفتين مؤقتتين أو أكثر، ولا يمكن التّوّج بجداولهم الزمنية»، وحسب الإحصائيات، فإن نسبة كبيرة من الأمريكيين لا يستطيعون الحصول على عمل لمدة ٤٠ ساعة أسبوعياً، فيلجأون إلى أعمال مؤقتة أو مستقلة متعددة، فإن من الطبيعي أن يجدوا أنفسهم مشغولين أو مرهقين إلى درجة تمنعهم من الاختلاط اجتماعياً.

ويُضيف: «لكن إذا كنت قد أدركت بالفعل أنك تمنى قضاء وقت أطول مع أصدقائك، فليك أن تجد طريقاً لتجاوز هذه العوائق». ويؤكد: «عليك أن تقسح وقتاً للناس».



الضغط، لأن ما تشعر به غالباً هو نفسه ما يشعر به الآخرون ويفكرون فيه أيضاً». وفي نهاية المطاف، «يصبح الأمر باعثاً على الطاقة» × قد يكون من الصعب تغيير العادات الراسخة يقول هول: «نقع في عادات تعزز من عاداتنا الموجودة بالفعل». ومن بينها عدم الخروج أو عدم زيارة الأصدقاء. وهذه «أمثلة جيدة على عادات، فيمجرد أن نرسخها، تُصبح باعثة على الجمود». لكن ما إن تكسر هذه الأنماط وتبدل في بناء أنماط جديدة، حتى تصبح السلوكيات الجديدة أسهل هي الأخرى. وفي نهاية المطاف، فإن رؤية أصدقائك بانتظام «لن تعود أمراً مرهقاً، كما يقول هول، بل «ستصبح في الواقع مصدرًا للطاقة والحياة».

ترجمة: فدوى مجدي هذا المقال مترجم، المصدر: SOCIAL ISOLATION CAN CARRY IMPLICATIONS FOR WELLBEING AND SUCCESS

لكن بالنسبة إلى أولئك الذين يتوقون إلى التواصل الاجتماعي بينما يقلقون بشأن الإنفاق، فهناك طرق للتعامل مع الأمرين معاً. تقول إيريكا راسور، كبيرة مستشاري الرفاه المالي في شركة (ما وراء المال): «جرب شيئاً جديداً يتوافق مع اهتماماتك وأهدافك، وبينك في الوقت نفسه فرصة للانتماء إلى مجتمع، من دون أن يكلفك الكثير». وقد يعنى ذلك، على سبيل المثال، المشاركة في حصة بوعا مجانية، أو معرفة الفعاليات التي تنظمها مكتبتيك المحلية، أو حتى الانضمام إلى مجموعة للعب أحد ألعاب الطاولة. ادع أصدقاءك للانضمام إليك في هذه الأنشطة، أو ابحث عن أنشطة أخرى قد يستمتعون بها. فعلى سبيل المثال، يبلغ متوسط سعر نصف غالون من الأيس كريم في الولايات المتحدة أقل قليلاً من ستة دولارات، وفقاً لبنك الاحتياطي الفيدرالي في سانت لويس، يمكنك شراء عبوة ودعوتهم إلى منزلك لتقاسموها معاً. كما توصي راسور بالتحدث بصديق حول وضعك المالي. وتقول إن مثل هذه الأحاديث «يمكن أن تخفف كثيراً من

وينصح هول بالتخطيط مسبقاً وإدراج قضاء الوقت مع الأصدقاء ضمن قائمة المهام التي ينبغي إنجازها. ومن الأفضل، بطبيعة الحال، أن تلتقي بهم وجهاً لوجه، لكن حتى مكالمات هاتفية يمكن أن تكون مفيدة.

× غالباً ما يكون ما تشعر به هو نفسه ما يشعر به الآخرون هناك عائق آخر حده (مشروع الصداقة الأمريكي)، وهو الجانب المالي: إذ يقول ٣٨٪ من الناس إنهم لا يملكون ما يكفي من المال لقضاء الوقت مع أصدقائهم. وتتوافق هذه النتيجة مع استطلاع حديث أجرته هاريس بول وشمل ٦٠٣ شخص من جيل Z. فبينما يقول ٦٠٪ منهم إنهم يفضلون قضاء الوقت مع أصدقائهم وجهاً لوجه، ويرى ٧١٪ أنهم يفتقدون تجارب الحياة الواقعية التي عاشتها الأجيال الأكبر سناً في مثل أعمارهم، يقول ٦٨٪ أيضاً إن الخروج لا يستحق ما يقتضيه من ميزانيتهم.

ومرة أخرى، فإن هذه القيود ليست مفاجئة. فقد ارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية عمومًا بنسبة ٢٥٪ بين يناير ٢٠٢٠ ونوفمبر ٢٠٢٥، وفقاً لبيانات مكتب إحصائيات العمل. فالحياة أصبحت مكلفة.